عزف على أوتار الحب

للدكتور حامد طاهر

حين يمتلئ القلب بالحب

لا يقبل أن تزاحمه أى مشاعر أخرى

كالغضب ، والحقد ، والغيرة ، والانتقام ..

إنه يصبح كالسماء المزرقاء الواسعة

التي تعبرها السحب البيضاء

وتسبح فيها الطيور الملونة

وتزينها النجوم فى الليل

وتشرق فيها الشمس فى النهار

وعندما ينام الكون

يخرج القمر من شرفته

ليعكس فى مرآته المستديرة

أحلام المساهرين من العشاق !

المحب ..

هل يبدأ من القلب ؟

أم من الشخص المحبوب ؟

انقسم الفلاسفة والمفكرون فى ذلك :

فذهب البعض إلى أن جمال المحبوب

هو الذى يجذب القلب إليه

تماما كما تجذب ألوان الزهرة

المفراشات الطائرة حولها

حتى تقع إحداهما فى أسرها ،

وذهب البعض الآخر

إلى أن القلب المرهف

هو الذى يهتز للشخص المحبوب

متوقفا عند أحد ملامحه

ثم يظل يرويه ويتابعه

حتى ينمو ويكبر ويملاً عليه حياته

وهناك بعد ذلك الحب السامى

الذى يتجاوز أسوار الجمال المحسى

ويصعد بصاحبه

إلى ملكوت الجمال الكونى المشامل

وهو ما يطلق عليه المصوفية :

المحب الالهى

الذى عبرت عنه رابعة العدوية بقولها :

إنها لنا تحب الله طمعا فى جنته ،

ولما خوفا من ذاره ،

وإنما حبا فى ذاته ..

هل يمكن أن نعلّم أبناءنا المحب ؟

ليس هذا في مقدورنا

لأن الحب شعور

والشعور لنا ينتقل ،

ولما يتوارث !

إنه ينبع مباشرة من القلب

كما يفيض الضوء من الشمس

وكما ينبعث ماء المطر من السحاب

ودعوني أروي لكم الحكاية التالية :

جلس شاب وفتاة

على مقعد رخامي

بإحدى الحدائق القريية من النهر

وبعد أن تحدثنا عن طويلا عن حبهما ،

واستعدادا معا ذكرى النظرة الأولى ،

والملقاء الأول ،

والمعقبات التي اعترضت طريقيهما ،

وكيف تغلّبا عليها كلها ،

راج كل منهما ينظر إلى الآخر

ويطيل النظر في عينيه

حتى غابا عن الأرض والسماء ،

وعن الزمان والمكان ..

وحين جاء حارس الحديقة

ليعلن بصفارته انتهاء الوقت

وجد في مكانهما

فراشتين تتسابقان ..

وتستقران فوق إحدى المزهور!